

## المسائل الأربع

٢٠٩

بهم أن يعذبوا، فحينئذ يعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يكون مآلهم إلى الجنة، على تفاوت فيما بينهم.

ولهذا أخبر النبي ﷺ عن أبي سعيد، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»<sup>(١)</sup>، فيدخلون الجنة؛ فالجزاء بعد الحساب. والمجازاة إما في الجنة وإما في النار: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. لتتم الحكمة البالغة من هذه الخليقة، فالله تعالى ما خلق الدنيا عبثًا، وإنما خلقها لحكمة بالغة؛ ليعلم من يعبده ومن يعصيه، من يكون أهلًا لدار كرامته، ومن يكون أهلًا لدار عذابه ونقمته. منكرُوا البعث.

قوله: معقبًا على هذه القضية العظيمة: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]).

## حكم من كذب بالبعث

أثبت الله تعالى البعث في هذه الآية إثباتًا لا مزيد عليه، حيث أمر نبيه أن يقسم بذاته - سبحانه - ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. واللام لام القسم، والنون نون التوكيد الثقيلة. فالبعث حق، ومن كفر بالبعث؛ فقد كفر بالله العظيم.

(١) أخرجه مسلم، رقم: (١٨٥).

ومنكرو البعث أصناف وطوائف:

**الدهرية،** والدهرية ملاحدة يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٤]. قال قائلهم: «أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر» هذه مقالة الدهرية.

وقريب من هذه المقالة مقالة القائلين بتناسخ الأرواح، وهم أمم ممن يسكن شرق الكرة الأرضية من الهندوس، والبوذيين، ومن على شاكلتهم، يعتقدون عقيدة باطلة يقال لها تناسخ الأرواح، يزعمون أن الإنسان إذا مات ارتفعت روحه ثم انتسخت في جسد آخر، فإن كان في الدورة الأولى قد سلك سلوكًا حسنًا وعمل عملًا حسنًا، فإن روحه تنتسخ في بدن أرقى من البدن الذي كان فيه، وإن كان عمله في الدورة الأولى سيئًا ومشينًا؛ فإنه يعاقب بأن تنتسخ روحه في بدن أحقر من البدن الذي كان فيه، فتنتسخ في جسد صرصار أو حشرة أو غير ذلك، وتظل الدنيا تدور على هذا، لا نهاية لها.

**الفلاسفة:** فإن الفلاسفة ينكرون البعث الجسماني، ولا يعتقدون بوجود البعث، ويقولون بقدم العالم وخلوده.

**الباطنية:** الذين يزعمون ليس ثمّ بعث ولا نشور، وأن الأنبياء لم يُرسلوا من عند الله، وإنما هم قوم أذكىاء، خاطبوا الناس لكي يحملوهم على الاستقامة والسلوك الحسن، فقالوا: إن لكم ربًا جبارًا قهارًا فعلاً... إلخ، وأنه قد جعل يومًا آخر، يجازى فيه المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، وليس هناك شيء من ذلك البتة، إنما هي مجرد دعوى، ومنهم (القرامطة) الراضة.

ولأجل ذا، كان الإيمان بالبعث من أصول الإيمان، في جميع الشرائع، لا يمكن أن توجد شريعة من عند الله إلا والإيمان بالبعث،

## المسائل الأربع

٢١١

والإيمان باليوم الآخر، من أصل أركانها: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا﴾ [البقرة: ٦٢]. هذه الثلاث هي أصول الدين في جميع الشرائع: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر. من شواهد ذلك قول الله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالإيمان باليوم الآخر من أصول الإيمان العظيمة التي تنضبط بها الأحوال والأعمال والسلوك والأخلاق وسائر الأمور، ولا يمكن أن يتصور إيمان بدون الإيمان باليوم الآخر؛ ولأجل ذلك كان من كذب بالبعث كافراً. وقد تنوعت دلالة الكتاب والسنة على إثبات البعث بأنواع الأدلة، منها:

هذا **الدليل النقلى** وما شابهه، من نصوص الكتاب والسنة التي تبلغ مبلغ التواتر، فكتاب الله، لا سيما القرآن المكي، مليء بالآيات الدالة على إثبات البعث؛ ويكفي أن تقرؤوا جزء (عم)؛ لتروا كيف أعاد الله تعالى وأبدى في إثبات اليوم الآخر: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ [عبس: ٣٣]، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَسْفُتَتْ﴾ [الانشقاق: ١]؛ فالقرآن المكي مليء بالأدلة الدالة على إثبات البعث، وكذا السنة النبوية.

## الإغاثة في شرح الأصول الثلاثة

٢١٢

**الدليل العقلي:** فإن العقل أيضًا يدل على إثبات وإمكانية البعث؛ كما قال **عَلَيْكَ**: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ فالذي ابتداء الخلق قادر على إعادته، فممَّ تعجبون أيها المنكرون!

ولما جاء أبي بن خلف وهو من زعماء المشركين إلى نبينا ﷺ بعظم رميم وفته أمامه وقال: يا محمد، أترعم أن ربك يحيي هذا بعد أن صار رميمًا؟ قال: «نعم، ويبعثك ويدخلك النار، قال الله تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]»<sup>(١)</sup>.

**النظر الصحيح:** إذ أن كل عاقل يأبى أن يقبل أن ينشئ الله الخليقة، ويرزق الله الناس ويطعمهم ويسقيهم ويأمرهم وينهاهم ثم ينتهي الأمر بلا بعث.

قد أخبرنا سبحانه بأنه خلق السماوات والأرض بالحق، ألسنا نرى الظالم يموت ظالمًا؟ والمظلوم يموت مظلومًا؟ ألسنا نرى المحسن يموت محسنًا؟ والمسيء يموت مسيئًا؟ فأين الحق؟ ثم فصل آخر، ثم تنمة؛ حتى يرد الحق إلى نصابه، ويجازى الظالم بظلمه، والمظلوم عن مظلّمته، والمحسن على إحسانه، والمسيء بإساءته، النظر يقتضي بأنه لا بد من يوم آخر تعاد الأمور فيه إلى نصابها.

**الدليل الحسي:** والمقصود به: الأدلة المشاهدة المدركة بالحواس: كالسمع والبصر، فقد قامت أدلة حسية على إثبات البعث، فقد ذكر الله تعالى في سورة البقرة خمس أدلة حسية على إثبات البعث:

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٥٥٤)، ط. الرسالة.

**المثال الأول:** بنو إسرائيل حينما قالوا: أرنا الله جهراً. فأخذتهم الصاعقة وماتوا، قال الله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

**المثال الثاني:** قصة البقرة، وهو أن رجلاً من بني إسرائيل قُتل، واختلف في قاتله، فاحتكم بنو إسرائيل إلى موسى بن عمران، فأمرهم أن يذبوا بقرة ثم اختلفوا في صفة البقرة إلى أن وقعوا على البقرة بالمواصفات التي ذكرها لهم موسى ﷺ: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]. فضربوه بجزء من هذه البقرة، فقام ذلك الميت من موته، وقال له موسى: من قتلك؟ قال: ابن أخي. وكان ابن أخيه قد قتله ليأخذ ميراثه.

**المثال الثالث:** القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، فروا من بلدتهم خوفاً من شيء معين، يخشون الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم مرة أخرى.

**المثال الرابع:** قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، الطعام والشراب الذي هو عرضة للخراب والفساد والتعفن بسرعة، أبقاه الله تعالى على حاله، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. الحمار الذي هو أقوى بنية، جعله الله تعالى عظماً بيضاء تلوح، قال: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]: فإذا بالرجل يبصر حماره الذي كان رضاماً من عظام، إذا بهذه العظام يتراكم بعضها على

بعض، وإذا باللحم يكسوها، وإذا بها تنتهي إلى حمار ينهق، عجباً!  
﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

**المثال الخامس:** قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَإِن يَرَوْهُ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ لَيُحْمَوْنَ بِهَا حَمْلًا وَأَن يُدْعَىٰ بِهَا الْجِبَلُ لَيُقَاسَىٰ بِهَا جِبَلٌ مِّمَّنْ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وفي هذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن منه ما هو أزيد من بعض حتى في التصديق، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وفي هذا دليل على أن الإيمان يزداد وينقص، وأن منه ما هو أزيد من بعض حتى في التصديق، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وفي هذا دليل على أن الإيمان يزداد وينقص، وأن منه ما هو أزيد من بعض حتى في التصديق، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وفي هذا دليل على أن الإيمان يزداد وينقص، وأن منه ما هو أزيد من بعض حتى في التصديق، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وبالإضافة إلى هذه الأدلة:

ما جرى لأصحاب الكهف الذين ناموا ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله وَجَعَلَ، وما أجراه الله تعالى على يدي عيسى ﷺ إذ كان يحيي الموتى بإذن الله.

هذه كلها أدلة حسية تدل على إمكان البعث.

وبالجملة فإن من تأمل في الأدلة؛ أيقن يقيناً لا شك فيه أنه لا بد من البعث، فقد تواترت على إثبات البعث وإمكانه، فيجب علينا أن نعني بهذا الجانب؛ فإن إيمان المؤمنين بالبعث يتفاوت: بعض الناس إيمانه بالبعث إيمان يقظ، إيمان حي، كلما همَّ أن يُقدم على عمل قام وازع الله في قلبه؛ فقال: احذر! أمامك يوم آخر، أمامك بعث ونشور؛ فأحجم وأمسك عن معصية الله.

وبعض الناس يتبلد هذا المعنى في قلبه، وكأنها قصص ومرويات

وأثار تحكى! وكأنه ليس معنيًا بها. فإذا أردت يا عبد الله أن تربي نفسك، وأن تعظ نفسك موعظة حسنة، فالله الله، أكثر من ذكر اليوم الآخر والموت، لا إلى الحد الذي يُفسد عليك عيشك، فأنت لا تحتاج من مخافة الله إلا إلى القدر الذي يحجزك عن معصية الله؛ فأقم في قلبك من مخافة الله، ومن الاستعداد لليوم الآخر، ما يحجزك عن معصية الله ويحفزك على طاعة الله وحسب.

